الجزائر واختيار الإسلام

● بعد فوز جبهة الإنقاذ الإسلامية فى الجزائر بأغلبية ساحقة فى الجولة الأولى للانتخابات البرلمانية فى الجزائر ، كثرت التكهنات وتعالت الأصوات وعمَّ اللغط فى الأوساط الإعلامية والسياسية والدوائر المهتمة ، فى شبه حملة مسعورة على الإسلام والمسلمين فى الجزائر ، قد يكون لها ما يبررها عند الصليبيين واليهود والمشركين ومَن والاهم ، فهؤلاء أعداء لكل ما هو إسلامى ، ولكن ليس من مبرر لها عند العرب والمسلمين الذين صوَّروا فوز الإسلاميين وكأنه ظلام يأتى من المغرب العربى ، وأخذوا فى عرض تفاصيل الصورة الظلماء بين تشدد ورجعية ودكتاتورية وغير ذلك مما ينبغى ألا يُنسب للإسلام وأهله ، بل الواجب أن يُنسب لكل مَن يتربص بالإسلام والمسلمين الدوائر ..

ولأن هذه الاتهامات والشكوك لا محل لها فى الإسلام وأهله العاملين له ، ولأن فوز الإسلاميين فى الجزائر نقطة تسجل للإسلام الذى ضيَّع أبناؤه كل النقاط ، فقد عرضنا الأمر بُرمته على فضيلة الداعية الكبير الدكتور يوسف القرضاوى ، الذى انطلق من « صفط تراب » ، القرية التى ضمّ ثراها رفات آخر صحابى مات فى مصر وهو الصحابى الجليل عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى - رضى الله عنه - ليجوب بقاع الدنيا حاملاً رسالة الدعوة إلى الله عَزَّ وجَلَّ حتى أصبح عَلَماً من أعلامها ورمزاً من رموزها فى قرننا الحالى ، ليُجلى ما عزّ على الأفهام من الوقائع ، وليبيِّن بوافر خِبرته وقُرب عهده بالشعب الجزائرى ما دقَّ من العِبرْ والأحداث .

---

(١) أجرى هذا اللقاء الأستاذ محمود عوض المحرر بجريدة « العرب » القطرية فى ٩ يناير سنة ١٩٩١ قبل استقالة الرئيس الشاذلى بن جديد ، ونُشر فى « العرب » فى ١٤ يناير .

● ● قال فضيلته : بِسْمِ اللّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله وصحبه ومَن والاه وبعد .. فإن المرء ليعجب من هذه الحملة المسعورة ضد الجزائر وشعبها بعد ظهور نتائج الانتخابات فى الجولة الأولى فى الجزائر الشقيقة والتى أسفرت عن نجاح الجبهة الإسلامية للإنقاذ نجاحاً ساحقاً ، وبفارق شاسع وجد شاسع بينها وبين القوى الأخرى حتى جبهة التحرير التى هى الحزب الحاكم ، والتى أجرت الانتخابات عن طريق حكومتها .. فالحكومة الجزائرية التى تمثل جبهة التحرير هى التى أجرت الانتخابات ، ولا يسعنا هنا إلا أن نشيد بهذه الانتخابات الحرة ، ونحن فى بلادنا العربية نشكو إلى اللّه تعالى ونشكو إلى الضمير العالَمى من تزوير الانتخابات ، سئمنا التسعات الأربع (٩٩و٩٩) وإذا تواضع أحدهم جعلها (٩٨ر٩٩) فهذا دلٌ على نزاهة كبيرة !! ولذلك حينما تقوم انتخابات بهذه الصورة التى يُترك للشعب فيها أن يُعبِّر عن نفسه بحرية وبلا ضغط ولا إكراه ولا محاولات للتزييف ، فلا يسع الإنسان إلا أن يُكبِر هذا ويُكبِر الرجل الذى خطا هذه الخطوة بشجاعة وهو الرئيس الشاذلى بن جديد ، وهذا واقع يجب أن نعترف به ، ومَن لا يشكر الناس لا يشكر اللّه .

حقيقة ذهبنا إليه مع فضيلة الشيخ الغزالى بعد سماحه بالتعدد فى الجزائر وبعد احتكار للحكم دام مدة طويلة ، احتكرته الاشتراكية الثورية الماركسية .. شكرناه على هذا الموقف بالسماح بقيام حزب إسلامى علنى حيث لم يُسمح بذلك فى البلاد الإسلامية العربية بالذات الأخرى للأسف الشديد ، أما هذه النتيجة فلا ينبغى أن يكون فيها استغراب .

نحن نقول فى العلم الإسلامى حسب ما قرره علماؤنا : إن ما جاء على الأصل لا يُسأل عنه ، إنما يُسأل عن علّة ما جاء خلاف الأصل .. فهل رجوع الناس إلى الإسلام شئ يُستغرب ؟ وخصوصاً بعد عصر الصَحوة الإسلامية ؟ .. ليس هذا بغريب .. إنما يكون غريباً لو تم هذا فى عصر التغريب والفرنسة حيث عاشت الجزائر ١٣٠ سنة تحت وطأة استعمار استيطانى لا يكتفى بمجرد الحكم ولا يكتفى باحتلال الأرض ولا يكتفى بانتهاب الخيرات ، ولكنه يريد أن يلغى

هوية الشعب ، ولهذا حاربَ الإسلام والعربية معاً حتى لا يبقى دين ولا تبقى لغة .. الدين الذى هو أصل الشعب وأساس إنتمائه واللغة هى وعاء الإسلام ولسانه .. وعاء حضارته ولسان ثقافته ، ولكن ذهب هذا كله هباء وجفاء وبقى ما ينفع الناس ، بقى الإسلام بفضل اللّه تعالى ثم بفضل أولئك العلماء المجدِّدين المجاهدين المرابطين الذين أصرُّوا أن يعيدوا الشعب إلى أصالته بواسطة المدارس الإسلامية المختلفة التى لقّنوا فيها الشعب ما عبّر عنه نشيد الشيخ عبد الحميد ابن باديس :

شعب الجزائـــر مسلـــم　　وإلـــى العروبـــة ينتســـب
مَن قال : حاد عن أصله　　أو قال : مات ، فقد كذب

وبدأ الإسلام يجرى فى عروق الناس بقوة ، وبدأت العربية تُتَعلم ، وكان هذا نواة الجهاد ونواة التحرير فيما بعد ، صحيح أن الإسلام زرع والعلمانية حصدت ، وهذا أمر جرّبناه كثيراً فى بلاد شتّى ، فالإسلام هو الذى يُحرِّك وهو الذى يدفع الشعوب لتبذل من دمها ، وتضع رأسها على أكفها وتعطى فى سبيل اللّه حتى تتحرر ، فإذا تحرّرت كان هناك اللصوص المدرّبون على سرقة ثمار الثورات والحركات التحررية ليقطفوا هم الثمرة يانعة لم يتعبوا فيها ولم يكد لهم فيها يمين ، ولم يعرق لهم فيها جبين ، ولكن ما أن أتيحت الفرصة للشعب الجزائرى ليُعبِّر عن نفسه وليتنفس الصعداء بعد زوال حكم بومدين ، حتى بدأت هذه الصَحوة الإسلامية فى البروز والظهور والانتشار حتى امتلأت بها المساجد والجامعات والمعاهد والمدارس ، وامتلأت بهذا الشباب المؤمن المستقيم على منهج اللّه عَزَّ وجَلَّ ، الغيور على دين اللّه ، هذا الشباب الذى أُريدَ له أن يُفَرْنَسْ يوماً ما ، عاد إلى الإسلام بقوة ، كأنما يثأر لنفسه من هذا الزمن الذى مضى وجُرِّدَ فيه من دينه وثقافته وحضارته ، وأُريدَ له أن ينسلخ من ذاتيته وشخصيته التاريخية ، كأنما يريد أن يثأر من هذا الماضى ، عاد الشباب بقوة وعادت الفتيات بقوة إلى الإسلام ، وظهر الحجاب فى الشوارع والطُرقات والمدارس والكليات ، وهذه حركة نسائية طوعية اختيارية لم يُكْرِه فيها أب ابنته على هذا الالتزام ولا زوج زوجته ، وإنما هى حاجة من بنات الإسلام للعودة إلى

الإسلام ، وحينما ذهب بعض العلمانيات والمتحلّلات من النساء يطالبن بإلغاء الشريعة الإسلامية من الأحوال الشخصية ، هذه المئات كان يقابلها مسيرة مليونية ، حوالى مليون من النساء المسلمات والفتيات المسلمات يطالبن بتحكيم الشريعة الإسلامية ، كان هذا كله دليلاً على تحول حقيقى وتغير جذرى فى الشعب الجزائرى .. تغيرت عقليته وتغيرت نفسيته وهذا التغيُّر كان تغيُّر عودة إلى الأصل ، عاد إلى الجذور ، فلا عجب أن يظهر أثر هذا التغيُّر وتظهر آثار هذه الصَحوة التى رأيتُ بعض ثمارها فى المحاضرات التى كان يحضرها عشرات الآلاف وأحياناً تبلغ المئات ، كنتُ أذهب إلى بعض المساجد فأجد الميادين والطُرقات الموصلة إلى المسجد قد امتلأت ، وعطلت المواصلات .. فهذا فى حد ذاته استفتاء ، وليس الانتخاب وحده هو المُعَبِّرْ عن رأى الشعب .. المسيرات التى سارت للاحتجاج على أمور معيَّنة منذ ظهرت الحرية ونمت هذه الصَحوة دلّت على اتجاه الشعب ، ماذا يريد ؟ ..

فلما كانت انتخابات البلدية قبل ذلك ظهر فوز التيّار الإسلامى المتمثل فى جبهة الإنقاذ فى ذلك الوقت ، وهو الذى لفت الأنظار إلى قوة هذا التيّار فى الشعب الجزائرى ، ثم لما جاءت هذه الانتخابات ظهر ذلك بوضوح وبدا ماذا يريد الشعب الجزائرى ..

أنا أقول : إن الشعب الجزائرى لم ينتخب جبهة الإنقاذ لذاتها ولا لأشخاص القائمين عليها ، فالحقيقة هذا اختيار للإسلام ولمنهج الإسلام ، وجبهة الإنقاذ كل ما فعلته أنها وجدت فراغاً فملأته ، كان هناك فراغ لا بد أن يُملأ ، لقد سئم الناس هذه الحلول المستوردة التى جنت على الأمة ما جنت ، هذه المذاهب والأنظمة القادمة من الغرب ومن الشرق ، سئم هذه الأنظمة التى جرّت عليه الخراب والبطالة والانحلال والتبعية والمشكلات التى تتفاقم يوماً بعد يوم ، ومضىّ الزمن لا يعالجها بل يعقّدها ، الشعب يريد أن يتحرر من هذا ، ويريد أن يتخلص من الحكم القديم ومخلفاته كلها ، فلم يطعم على يديه من جوع ، ولم يأمن من خوف ، ولم يسعد من شقاء ، ولم يقو من ضعف .. فكان لا بد أن

يتغير هذا كله .. يريد التحرر من هذا الماضى الذى جاء بعد التحرير ، ولم يربح شيئاً من ورائه لا لدينه ولا لدنياه ، ويريد أن يكون هذا التغيير على أساس من الإسلام الذى رجع إليه ، فجبهة الإنقاذ ملأت هذا الفراغ ..

كان الناس يريدون أن يتخلصوا من هذا الشئ الظالم المظلم ، ويريدون أن يتخلصوا بالإسلام ، أن يكون المُخلِّص هو الإسلام ، وأن تكون الرجعة إلى الإسلام ، فملأت هذا الفراغ ، فالناس حينما اختاروا جبهة الإنقاذ لم يختاروا عباس مدنى ولا على بلحاج ولا عبد القادر حشانى لذواتهم ، وإنما اختاروا الإسلام ، الحزب الذى يمثل الإسلام فى نظرهم ، فهذا اختيار لاتجاه ، اختيار لمنهج جديد ، ولهذا يجب أن تُحترم إرادة الشعب الجزائرى ، فالشعب أراد هذا بأغلبيته الساحقة ، فلماذا يريد بعض الناس أن يتدخلوا فى إرادة هذا الشعب ، وأن يجبروه على غير ما يريد ، والعجب كل العجب أن يأتى هذا ممن يزعمون أنهم يتكلمون باسم الديمقراطية ، سواء فى العالَم الغربى أم فى العالَم العربى ..

الذين يدعون إلى الديمقراطية ويتغنون بها هم أنفسهم الذين يريدون أن يلغوا ثمرة انتخابات جاءت فى ظل الديمقراطية ..

إذا جاءت الديمقراطية - حتى ولو كانت مُزَيَّفة - بالعلمانيين أو بالشيوعيين أو بأهل اليسار أو بأهل اليمين كانت مقبولة ؟ وإذا جاءت بالإسلاميين أصبحت مرفوضة ؟ أى منطق هذا ؟ هل هذا منطق ؟ يريدون أن تكون الديمقراطية لصالحهم فإذا جاءت فى غير صالحهم رُفِضَت ، ورأينا هذه الاستعداءات من هنا وهناك ، التى تُحرِّض الجيش الجزائرى على أن يتدخل بالقوة المسلَّحة وبالعنف الدموى ، لإلغاء ما جاء عن طريق انتخاب حُرّ قامت به الحكومة نفسها التى يمثلها هذا الجيش نفسه ، معنى هذا أن هؤلاء يريدون أن يوقعوا الشعب الجزائرى بعضه ببعض ، يريدون لهذا الشعب أن تصطدم فيه القوات المسلَّحة بقوة الشعب ، ولو حدث هذا فلن يقبل الشعب الجزائرى هذه النتيجة ، وقد حدث من قبل أن خرج الشعب إلى الشوارع سنة ١٩٨٨ واصطدم بالقوات المسلَّحة وجرت الدماء أنهاراً ، وهذا قبل أن تظهر النتيجة الرسمية فى ظل الديمقراطية

لانتخابات حُرَّة ديمقراطية .. لا يُتوقع فى مثل هذه الحالة إلا أن يغلى البلد غلياناً وأن ينفجر ، فإن الضغط يولد الانفجار ، ومثل هذا الانفجار لا يعلم عواقبه إلا الله ، فالذين يريدون هذا لا يرعون مصالح الشعب الجزائرى ولا يريدون به خيراً ، يريدون أن تقوم حرب أهلية بين الناس بعضهم وبعض ، وبين الجيش الذى من المفترض فيه أن يكون حامياً للشعب ، يصبح هو مقاتل الشعب وهو الذى يُطلق النار على الشعب ، على أهله وعلى إخوانه ، وعلى بناته وأبنائه .

ولهذا فأنا أظن أن الجيش الجزائرى - بما نعرفه عن أبنـ الذين جاهدوا وقاتلوا وبذلوا وضحُّوا - لا يقبل هذا ، ولن يستمع إلى الإغراءا ° التهر ات التى تأتى من كل مكان لهم أن يوقفوا الزحف الإسلامى ـ د الإسا ى ، ولو تدخَّل الجيش فلن تكون إلا كارثة .

قد يقبل الناس أو يستكينوا مدة من الزمن ، ولكن هذا لا يستمر ولا يمكن أن يستمر ، ولهذا ننصح القوات المسلَّحة فى الجزائر أن يكونوا عند حُسن الظن بهم وألا يكونوا أعداء لشعوبهم ، ولأمتهم ولوطنهم ، ولا يستجيبوا لهذه الوساوس الشيطانية التى تأتيهم من هنا وهناك ، وأن يكونوا أكثر عقلاً وحكمة وشجاعة من الاستجابة لهذه المكايد التى لا يُراد من ورائها إلا الشر كل الشر للشعب الجزائرى ، ونعجب حقيقة لأناس فى بلاد العرب يكيلون التُهم لجبهة الإنقاذ فى حين يرحبون بجبهة القوى الاشتراكية التى يرأسها حسين آيت أحمد ، ويتحدثون عن المسيرة التى سيِّرها ومعه دعاة العنصرية للمطالبة بمنع الإسلام أن يكون له رأى وتوجيه وحكم لسياسة البلد ، هذه جبهة تعمل لحساب الغرب ، ولحساب الثقافة الفرنسية والحضارة الغربية ، والآن سيِّرت مظاهرة ضد الإسلام ، والعام الماضى سيِّرت مظاهرة ضد التعريب ، ضد اللغة العربية ، تريد ألا تكون العربية هى اللغة السائدة ، وأنا أعرف أن الكثيرين من البربر فى الحقيقة هم مسلمون صادقون يعتبرون الإسلام أساس هويتهم وأن العربية لغة دينهم وثقافتهم وكثير منهم يتكلمون العربية كأحسن ما يتكلم بها العرب الخلَّص ، ومنهم الخطباء والأدباء والشعراء ، ويرفضون هذا الاتجاه ..

فنعجب للذين يدّعون العروبة ويؤيدون هؤلاء الذين يدعون إلى عنصرية تعادى العرب وتعادى الإسلام وتوالى فرنسا وتوالى الغرب وحده ..

* *

● تكثر هذه الأيام الاتهامات بالتشدد والرجعية والعودة إلى الوراء وغيرها مما يريد مروجوها وصم الإسلام وجبهة الإنقاذ الإسلامية بها ؟

● ● هذه الاتهامات سمعناها من قبل ، والواقع أن جبهة الإنقاذ جبهة عريضة ليست حزباً معيّناً أو جماعة تقوم على تربية الأفراد على منهج معيّن ، هى قاعدة جماهيرية عريضة ضمت جماعات مختلفة وضمت أناساً غير منتسبين إلى أى جماعة أو حزب ، ففيها المتشدّد وفيها المتساهل وفيها المتوسط وهذا شئ طبيعى ، لكن أنا أعتقد أنه بعد أن دخلت الجبهة المعترك السياسى وخالطت الآخرين وحاورتهم أصبح لديها كثير من المرونة فى معالجة الأشياء ، لهذا بعض التصريحات التى كانت تُسمع من بعض أفرادهم قديماً بدأوا يتجاوزونها وينأون عنها وبدأوا يراعون الوضع الإقليمى والوضع العام لبلدهم وأصبحوا يقولون : نعترف بالديمقراطية .

البعض يقولون : إنهم حينما يصلون إلى الحكم لن يسمحوا بالديمقراطية ، سيلغون التعدد وسيكتمون الأنفاس ، سيحجرون على الحريات .. وهذا تَقوُّل عليهم دون وجه حق ، والعقلاء من قادة الجبهة - ومنهم حشانى الذى يتكلم باسم الجبهة حالياً - ينكر هذا ويقول : سنحترم الديمقراطية وسيظل الخيار الديموقراطى سارياً .. وهذا ما نأمله منهم .

وآمل من الإخوة فى جبهة الإنقاذ أن يبادروا ويعلنوا للناس أن الديموقراطية التى وصلوا بها إلى هذا الوضع يحترمونها ولا يحيدون عنها ، وأن يعلنوا كل ما يطمئن الناس على حقوقهم وحرياتهم وأنهم لن يكونوا ضد القوى الأخرى التى لم تعطهم أصواتها .. حتى دعاة العنصرية هؤلاء ..

ومما يسرنى فى هذا أن بعض القادة الفرنسيين قالوا : يمكننا أن نتعامل مع جبهة الإنقاذ الإسلامية كما نتعامل مع غيرها ..

أريد أن أضيف إلى مناشدتى للجيش : مناشدتى للرئيس الشاذلى بن جديد الذى سمح بالتعددية والذى يُعتبر صمام أمان فى هذه الفترة بحكمته ونفوذه أن يمنع نشوب حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس ولا يخسر فيها إلا الشعب الجزائرى .. نحن نأمل إن شاء اللّه أن يكون يوم الجزائر خيراً من أمسه ، وأن يكون غدها خيراً من يومها ، ونسأل اللّه أن يُعينهم إن شاء اللّه على غد أفضل ..

* *

● بماذا تنصحون الإخوة فى جبهة الإنقاذ الإسلامية بالجزائر ؟

● ● نصيحتى للإخوة فى جبهة الإنقاذ تتلخص فى هذه الوصايا العشر :

١ - أن يتفاهموا مع كل الفصائل الإسلامية وإن اختلفوا فى بعض القضايا والتفصيلات ، وليكن شعارهم : نتعاون فيما اتفقنا عليه ونتسامح فيما اختلفنا فيه .

٢ - أن يستمعوا لكل نُصح يوجَّه إليهم ، ولا يضيقوا ذرعاً ، فليس هناك أحد أكبر من أن يُنصح (بضم الياء) ولا أحد أصغر من أن يَنصح (بفتح الياء) ، وقد كان عمر يقول : « رحم اللّه امرءاً أهدى إلىّ عيوب نفسى » .

٣ - أن يستعينوا بكل الخبرات والكفاءات العربية والإسلامية فى مجالات الفكر والتربية والسياسة والاقتصاد وغيرها . فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه .

٤ - أن يفتحوا باب الحوار مع الأطراف المختلفة - وإن لم تكن إسلامية - إتباعاً لأدب القرآن فى جدال المخالفين بالتى هى أحسن .

٥ - أن يراعوا سُنَّة التدرج ، فإن اللّه خلق الدنيا فى ستة أيام ، وفرض الفرائض ، وحرَّم المحرَّمات على مراحل ، ليعلموا أو يُعلِّموا الآخرين أن ما هُدِم فى قرن وثلث لا يُبنى فى سنة أو سنتين !

٦ - أن يتذكروا أن للضرورات أحكامها ، وأن الضرورات تبيح المحظورات ، وأن هناك أعذاراً وظروفاً مخففة للأفراد والجماعات ، ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ (١) .

٧ - أن يُوجِّهوا أكبر همهم إلى إيجاد حلول لمشاكل الناس ، حتى يشتغل العاطل ، ويطعَم الجائع ، ويأمن الخائف ، وتزدهر الحياة ، وتعمر الأرض .

٨ - أن يهتموا بالتربية والتوجيه ، وبناء العقول والضمائر والأخلاق ، قبل الاهتمام بإصدار القوانين والقرارات والجزاءات ، فالقوانين وحدها لا تصنع المجتمعات .

٩ -أن يُربُّوا الشعب - عن طريق الإعلام والدعوة والتعليم - على العمل لا الجدل ، وعلى البناء لا الهدم ، وعلى تقديم الجوهر على الشكل ، والأصول على الفروع ، والفرائض على النوافل ، وغير ذلك مما يقتضيه فقه الأولويات ، ولا يدعوا صوت الغوغاء يعلو على صوت الحكماء .

١٠ - أن يُغَلِّبوا التيسير على التعسير ، والتبشير على التنفير ، والرفق على العنف ، وأن يقودوا الناس إلى الله بزمام الحب ، ولا يسوقوهم بسياط الخوف ، وأن يظهروا الإسلام فى صورة كريمة سمحة ، للموافق والمخالف ، ليكون كما أراده الله : « رحمة للعالمين » .

* * *

(١) البقرة : ١٧٣